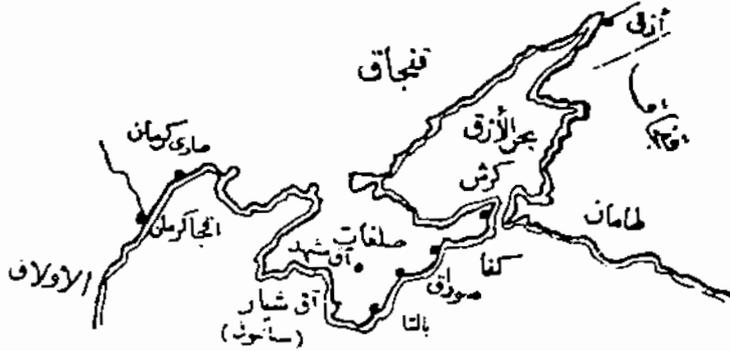


فأبنا أجهت جماعتهم ووصلت سنابك خيلهم فهي امتداد للقفجاق  
ويطلق اسم القفجاق على القبائل التي هاجرت ودخلت بلاد  
الرمال بألوانها المختلفة . الرمال السوداء والحراء والبيضاء وغيرها  
قرا ، قزل ، آف ، باتان قوم ، وهي هذه السهول الواقعة بين الفولجا  
وجبال السكربات . وفي مسالك الأبصار عن بلاد القفجاق إنها  
« كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب وأنها لا تزال في  
بقايا تلك المارة والفراس » وعدد ما فيها من أنواع الزروع  
والفواكه وأسماء بعضها بلغة القفجاق .



وفي أسماء البلاد ما يشير إلى ألوان الرمال التي مرّ ذكرها ،  
فهي مدينة آخا كرمان الواردة بمسالك الأبصار وصيغ الأعشى  
وهي Akerman الحامية بقرب مدينة أوديسا الروسية وفي مقابلها  
سارى كرمان ، وفي القرم آق مشهد وآق شيار ( سباسبول )  
وآق بلغات الترك معناه : أبيض ؛ ولو فتحت خريطة مفصّلة  
لأراضي روسيا الجنوبية لهلك ما تجد من أسماء القرى والمخيمات  
التي لا تزال تحمل أسماء مشتقة من لغة القفجاق سكان البلاد .  
ويحاول بعض المؤلفين أن يجمع بين القازاق والقفجاق فيقول  
بأن القيرغيز وهم أهل بدوّة إلى اليوم يطلقون قازاق على التائه  
أو الشارد ، والقفجاق في لغتهم هم الذين انقطعوا عن قومهم  
وانفصلوا وشرّدوا .

فالقازاق أو القفجاق هم الذين تركوا المشيرة الكبرى وحكم  
عليهم بالقرية ، فإذا استقروا في جهة ما وشغلوا أنفسهم بفلاحة  
الأرض : استفلحوها وظهرت عليهم مزايا الشعوب المستقرة  
ومظاهر ضعفها ، ولكن إذا جاءت سنوات القحط وأجدبت  
الأرض أو أساهم ظلم الحكام عادت إليهم غريزة الكفاح الأولى  
ووقفوا أمام الطبيعة وأمام الإنسان ، فإن أخطأهم التوفيق بدأوا  
غربة جديدة وواجهوا مصائب الزمن وتحكم الأقدار ، وهم في

## القفجاق

للأستاذ أحمد رمزى بك

« له برائن تحت إبطه وسدر وجنيات عليها أطواق وأمراس  
ملونة ، ليس لأقفة الترك والنتر أن تماكيها ... » .  
جيم داني

القفجاق أو القفجاق أو الخفشاق أو القفجق كلمات وردت في  
الكتب العربية القديمة ويماثلها بالأجنبية Kaptchabr Riftchabr  
هل القفجاق اسم مكان أطلق على التتار ، أم هم قبيل من  
الناس أطلق اسمهم على الأراضي التي سكنوها فعرف المكان باسمهم ؟  
هذا بحث يقصر عنه الجدل .

فن قائل إن القفجاق في لغة الأتراك القدماء هو الصميد  
التسع أو الفيافي من الأرض الواسعة المنبسطة أى Steppes  
حيث يكثر الرعى وينبت الزرع ، ثم يأتي الجذب فتصبح الأرض  
كالصحراء ولذلك كثرت وورد اسم صحارى القفجاق في كتب العرب  
وعليه فسكان هذه البقاع هم أهل السهول والوادي مثلهم  
كأهل البادية من العرب الذين وصفهم ابن خلدون في مقدمته  
بقوله « لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء  
المواطن » وعليه فالقفجاق قوم يمشقون الحرية ولا يخضعون  
لنظام ، اختلفوا عن غيرهم من سلالات الترك الذين هم أهل جماعة  
وسلطان ونظام ، الذين يجمع بينهم وحدة التماون والخضوع  
للرأسة وما عليه قانون الجماعة ، فإذا تركنا أهل المشرق في آسيا  
جانبا يقول علماء الأجناس إن أهل فنائدة وبعض سكان  
اسكندنافيا والبشكارين وفريق من سكان القوقاز الستوطين هم  
أهل حضارة وبقا سكان هذه المناطق من أهل هجرة العناصر  
التركية الأولى في فجر التاريخ : قفجاق .

ويقول الباحثون إن العناصر التركية البدوية أجهت في  
هجراتها إلى ناحيتين : صحراء جوبي في الصين و صحراء القفجاق في  
روسيا ، وأقام ملوك الصين سدا لحماية بلادهم . أما في أوروبا فقد  
عبر القفجاق نهر الفولجا « أتل » ودخلوا السهول وأجهتوا إلى  
الغرب فوصلوا إلى المداوَاب جنوبا وإلى المجر و سهول بولونيا

بلاد روسيا وقد تغيرت مذاهبهم ولغاتهم ولكن يطلقون إلى اليوم على الدواب والحاصيل وما تحت أيديهم من منقول كلمة « مال » وعلى سكنهم كلمة « ايزية » وهي عزة عندنا .

وليس معنى رجل السهول والبادية أنه يأتي من سكنى المدن بل هو يفرح بحياة الاستقرار ويضع مزايا البداوة في محمين حياته الجديدة ، فالقفجاق قوم أشداء طوال القامة أعصابهم قوية ذوو شدة ومراس على الحروب ، ولكن الأقدار لم تكن تسمح للرجل منهم بحياة الراحة في صحاريه التي تحيط بها الأطلع ، فإن يهاجم في عمر دياره أو تأتي سنوات القحط حتى يبدأ الهجرة إما شارداً من عدو أو باحثاً عن الكلا ويسير في هذا الطريق الصعب الشاق الذي يذكرنا بتغريبة بني هلال فيأخذ في البكاء على الأطلال والنبات ومساقط المياه ، ولهم حوادث سجلتها الأغانى الشعبية ، ولا يزال قوزاق الدون ينشدون جماعات ذكرى هذه الهجرات ويكون الأطلال يرسلون التحية للأسير الغائب والابن الضائع والفتاة المسلوقة ، ولكن بلغة غير لغة آبائهم وأجدادهم . وإن حملت أغانيهم وعبرت عن مشاعرهم تلك النغمة الخزينة التي لازمهم من أواسط آسيا حيث مشرق الشمس ومنبع سراج الدنيا .

ولقد أخرجت اطابع العربية بمصر الكثير من الكتب والأبحاث التي عرضت لتاريخ مصر الإسلامية ، وكان من الطيبى أن يتعرض واضع هذه المؤلفات إلى بعض المسائل الجغرافية أو الأمور المتعلقة بشؤون الأجناس ، فكان مما رأيت أن البعض أخذ لفظ جبال القبق على أنه القفجاق ، وأن القفجاق هم سكان القوقاز بل رأيت خريطة جغرافية وضع راسمها جبال القفجاق على أراضي القوقاز ، ولما كان القبق وباب الأبواب والدرند في البلاد الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود وهي المروفة بسكانها من الجراكسة والكروج والداغستانيون وغيرهم وهي غير صحارى القفجاق الواقعة حول شبه جزيرة القرم والمنتدة من نهر الفولجا شرقاً ، رأيت أن أجمع بعض ما عثرت عليه في الكتب العربية تاركاً لذلك .

فقد ورد في صبح الأعشى عند كلامه على بلاد الدشت قوله «وهي صحارى في الشمال وتضاف إلى القفجاق بفتح القاف وسكون

الباء الواحدة وفتح الجيم وألف بعدها قاف وهم جنس من الترك يسكنون هذه الصحارى أهل حل ورحال على عادة البداوة » وفي كلامه عن القفجاق قال « هذه المملكة متسمة الجوانب طولاً وعرضاً كبيرة الصحراء قليلة المدن وبها عالم كثير لا يدخل تحت حصر » ونقل عن صاحب التعريف : أن صاحبها في الأيام الناصرية (يعنى الناصر محمد بن قلاوون) هو السلطان أوزبك خان ، وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا اتحاد قديم وصدق وداد من أول الدولة الظاهرية بيبرس وإلى آخر الوقت . وفي مادة تركستان عدد ياقوت أصناف الترك وذكر القفجاق تحت اسم خفشاق ، وفي المسودى أنه كان في البلغار من قديم الزمن دار إسلام ومستقر إيمان نقل ذلك صاحب المسالك وأضاف « أما الآن فقد تبدلوا بإيمانهم كفرة وهم يدارون سلطان القفجاق لعظيم سلطانه وأخذه بخناقهم لقبهم منه .

ويقرر الأصطخري أن لغة البلغار والخزر تفرق عن لغة الترك ، وأن لهجات القيرغيز والقبجاق تركية محضة وهذا يتفق مع أبحاث العلماء الأوروبيين الذين وصلوا ما بين القيرغيز والقبجاق كما قلنا . ويقرر الأمير شكيب أن لغة الترك الرحالة الساكنين حول نهر الأنيل وهو الفولجا ، أتق من لغات أهل المدن وهو قول صريح في أن لغة القفجاق كانت من أتق لغات الترك .

ويقرر علماء اليرب أن نهر أنيل هو المركب عليه مدينة سراي وهي تقع جنوبي ستالينجراد وهو ينبع في ذيل جبل قاقونا ثم يتجه جنوباً آخذاً بقرب في صحارى القفجاق على شمالي مادن الفضة حتى يصب في بحر طرستان .

وفي ياقوت عند كلامه على مدينة « كرش » بلدة صغيرة على ساحل بحر الأزق أهلها قبجاق كفار ، ويقابلها من البر الآخر الطامان . وفي كلامه على « كفا » يقول « هي على ساحل بحر القرم وهي شرقي سوداق وعليها سور من لبن ومن شمالها وشرقها صحراء القبجاق . وعنه حينما تكلم على حملات التتار « وقتلوا القبجاق في بواديهم حتى انتهوا إلى بلغار في نحو عام واحد » .

ومدينة « كفا » هي الميناء الذي كان أهل جنوا والبندقية ينقلون منه فتيان المالك من أهل هذه البلاد لتسليمهم إلى ملوك مصر مدة دولتي المالك البحرية والجراكسة ، ولقد وصل الظاهر

بالنصرة الأولى يوم عين جالوت في كسر الملك المظفر قطز عساكر هولاء كما بعد أن هجز عنهم عساكر الأقطار واستأصلوا شأفة السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه ، وقتلوا عساكره مع أن الجيش المصري بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة في الدائرة والله يؤيد بنصره من يشاء .

وفي تاريخ المماليك الأتراك فترات غامضة يفسرها لنا النزاع القائم بين الأجناس المختلفة ، فالملز أيبك التركاني اعتمد على البحرية في وقت ما ثم حاربهم ، وقطرز وهو خوارزمي حاربهم وصالحهم ثم قتلوه ، وحاول زين الدين كتبغا أن يوجد حوله عصبية من جنسه فضاع الملك منه ، وكان بيبرس الجاشنكير من البرجية فلم يثبت له ملك ، وتمسك الأمراء ببيت قلاوون لأن الغالبية منهم وهم من جنس واحد مع أولاد المنصور قلاوون وهكذا عاش هذا البيت رمزاً للرئاسة مدة أطول من غيره .

وفي الجزء الرابع من سبيع الأعشى : « أما في زماننا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس ورغب في مماليك من جنسه وأكثر من المماليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند ، وقتل مماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم » .

ويؤكد هذا النص ما سقناه من الحديث ، وإن بحث الشاكل التي قامت بين أمراء المماليك يجب أن يكون قائماً على النصوص وعلى الاستقراء والبحث في كتب التراجم مع الإسلام بأجناس الترك والجركس وعصبياتهم .

في القرن السابع الهجري أتم جوني ابن جنجيزخان فتح بلاد المسلمين وأخضع إيران وأجهت كتابه شمالاً إلى القوقاز حيث اقتحم البربند وباب الأبواب ، وفي الشمال التقى على نهر الدون بقبائل تركية هي القفجاق تخضعت لأول وهلة للفتوح كإبناء عمومة وأخوة ، ولما سكن الغاشية التي لقيتها أقامت غيرها من سكان بحر الأزق ( أزوف ) أن الأفضل لها وأسلم هو أن تتجه غرباً ، وكان ذلك من أسباب مطاردتهم والفتك بهم ونشرهم لإعادة القطيع الضال إلى حكم الخان الأعظم . وترتب على هذه المطاردة أن توجه فاندان جوني وسابوتاي بحملة إلى وادي الدنيير فأتعوا إخضاع الجزء الجنوبي من روسيا الحالية وهو المسمى بأراضى القفجاق

بيبرس إلى تسهيل هذه التجارة باتفاقه مع ميخائيل باليولوج ملك بيزانطة للترخيص بمرور السفن عبر البوسفور في ذهابها إلى البحر الأسود وعودتها إلى مصر .

وجنى أهل جنوا والبندقية أرباحاً طائلة من هذه التجارة كما كانوا يتاجرون بالرقيق الأبيض من فتيان الشرق إلى أوروبا ، ومن نقل فتيان الحجر والصقالبة وغيرهم من أوروبا إلى الشرق ، وقد عثر على سجلات بالأثمان التي كان يباع بها الرقيق ، وأن عدد المماليك الواردة من نواحي البحر الأسود لمصر كان لا يقل عن ٢٠٠٠ مملوك تضم كل سنة إلى جنود سلاطين مصر .

وليس هنا موضع بحث هذه الناحية فقد يتسع البحث ويمرض لموضوع تنظيم هذه التجارة والاتفاقات التي كانت قائمة والقواعد التي كان معمولاً بها وهذا مما يخرجنا عن موضوعنا .

ولكن أهم ما يربط التاريخ المصري بالقفجاق هو ما جاء بصبح الأعشى نقلاً عن مسالك الأبصار وهو « ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمراءها وجندها ، إذ لما رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب في مشرى المماليك منهم ، ثم صار من مماليك من انتهى إلى الملك والسلطنة ، فالت الجنسية إلى الجنسية ، ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم أهلة العالم ، محمية الجواب فهم أثمار مواكبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماؤها أرضها » .

« وحمد الإسلام موافقهم في حماية الدين حتى إنهم جاهدوا في الله أهلهم » .

إذ يظهر أن جل المماليك الذين أطلق عليهم اسم البحرية كانوا من قبائل القفجاق مثل بيبرس وقلاوون وفارس الدين أقطاي وغيرهم فأحاطوا أنفسهم بمماليك وأمراء من جنسهم .

ويفسر النزاع الذي قام بين الممز وهو تركاني وبين المظفر قطز وهو خوارزمي بعد ذلك وبين البحرية من جهة أخرى هو اتفاق الجنسية بين المماليك البحرية وتفاهمهم وتعاونهم وعدم وجود قوة منتظمة متمسكة بتم في سبيلهم ، ولذلك وصلوا إلى فرض إرادتهم على من نازعهم من الأجناس التركية الأخرى وبرزوا في التاريخ .

وللمماليك البحرية موقفان : أحدهما في المنصورة والثاني في عين جالوت ، وفي الثاني يقول صاحب مسالك الأبصار « وكفى

فكانوا يفرقون دائماً بين الفعجاق وغيرهم ، فكانوا يطلقون من أواسط القرن الثاني عشر المسيحي على جميع أصناف الترك ما عدا الفعجاق سرنيكوبوك أي « الطرايش السود » وهذا دليل على أنهم قدماء في تلك الأرض .

في القرن السادس الهجري وصل أحد أمراء الفعجاق إلى جند من أجناد المسلمين فقتل واحد منهم « رزقه الله الإسلام » فأسلم الفعجاق ودخلوا الدين الحنيف . والآن في القرن العشرين نقول « هل يأتي وقت يذكر فيه أنهم كانوا مسلمين » مرة أخرى « رزقهم الله الإسلام » .

أحمد رمزي

في هذه الأثناء أي سنة ٦٣٩ كانت إحدى قبائل الفعجاق لا تجد ماوى أمامها ، فأنجبت إلى القرم بجواد سوداق حال البحر بينها فكانت أنس خان ملك الأولاق ليمبروا البحر إليه فراراً من جحافل التتار ، فأجلبهم إلى ذلك وأنزلهم وادياً بين جباين وكان عبورهم إليه سنة ٦٤٠ فلما أطمأن بهم القام غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل منهم وسبي ، وكان من بين السبي غلامان هما بيبرس الملك الظاهر وبدر الدين بيبرس الشمسي ناقل هذا الحديث ، وكان عمر بيبرس أربعة عشر عاماً فكان أن بيع في مدينة سيواس وأخذ إلى حلب وانضم في مصر إلى جماعة من جنسه الفعجاق يعملون في خدمة سلطان مصر .

أما في بلاد الفعجاق فاستمرت المطاردة ضد القطيع الشارد إلى أن جاء الأمر من جنجيز خان باستدعاء قائديه ، ومات الخان الأعظم فإذا حفيده على عرش أراضى الفعجاق وما يستجد من الفتوحات .

والآن بعد مضي مئات السنين على هذه الحوادث يرتد الملك الظاهر في مدرسته بدمشق وتزول من الوجود دول التتار وعظمة الخان ، ولكن ملايين الخلق من الفعجاق والناصر المنولية والأسبوية قد استولت روسيا الأوروبية منذ قديم الزمن وتركت عوائدها وتقاليدها وآثرت الحياة الفكرية والتكوين العقلي وصنبت اللغة والأناشيد ، إن هذا التأثير كان قوياً عميقاً لدرجة أكثر من أن يعترف بها الروس أو يحاول أن يشمر بها أو يسلم بها الباحثون في شؤون روسيا من أهل أوروبا الغربية لأنها قلب القاييس والقواعد .

ذلك لأن روسيا بأكلها خضعت لخانات المغول الذين حكموها وامتد سلطانهم إلى ما وراء غاليسيا وأتى وقت لم يبق للروس غير نونوجورود ، ثم خضعت هي بدورها ، ولذلك يقول الدكتور رابوربورت Raporport صاحب « تاريخ روسيا » ومؤلف كتاب « لعنة آل رومانوف » .

« موسكو وارثة المغول ، كان القيصر الوارث الروحي لأسراء المغول الذي تجرى دعاؤهم في عروقه ، إن جودونوف كان مغولياً وكان القياصرة يفخرون بأنهم أصحاب عرش الفعجاق » .

وفي تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون يقول « أما الروس

### مجلس مديرية أسيوط

يعلن في الناقصة العامة

- ١ - توريد خامات مطاوعة اقسام السن والجلود والسجاد والطبعة بمؤسسة تربية البنين بأسيوط
- ٢ - توريد اقشة وخامات لنسج التريكو والأشغال بمؤسسة تربية البنات بأسيوط والمدارس الأوابية

وحدد ظهر يوم الثلاثاء ٢٧ مايو سنة ١٩٤٧ موعدا لفتح المظاريف وتطلب القوائم من المجلس على ورقة دمغة فئة ٣٠ ملياً نظير دفع ١٠٠ ملياً تمنا للقائمتين .  
٧٢١٥

### وزارة الدفاع الوطنى

ستعمل مزايمة عننية بسلاح الأسلحة والمهمات الملصكى بالمادى فى الساعة المائترة من صباح يوم ٣١/٥/١٩٤٧ عن مشال متخلفات ورشة «النشارة والفحم الرجوع وقمصاات الجلد والقماش » والشروط بالسلاح المذكور  
٧٢٢٥